علماء ومجتهدين جهابذة خدموا المذهب المالكي بآرائهم النيرة ومؤلفاتهم العلمية الجليلة وتحقيقاتهم النافعة.[1]

وفي هذا الصدد يصوِّر لنا الفقيه المقَّري التلمساني ما آل إليه الفقه في القرن الثامن الهجري؛ فيقول:"ثم كَلَّ أهل هذه المائة عن حال من قبلهم من حفظ المختصرات وشق الشروح والأصول الكبار، فاقتصروا على حفظ ما قَلَّ لفظه، ونزر حظه، وأفنوا أعمارهم في فهم رموزه، وحلِّ لغوزه، ولم يصلوا إلى رد ما فيه إلى أصوله بالتصحيح، فضلاً عن معرفة الضعيف من ذلك والصحيح، بل هو حل مقفل، وفهم أمر مجمل، ومطالعة تقييدات زعموا أنها تستنهض النفوس، فبينما نحن نستكبر العدول عن كتب الأئمة إلى كتب الشيوخ، أتيحت لنا تقييدات للجهلة، بل مسودات الموسوخ، فإنا لله وإنا إليه راجعون".[2]

المبحث الثاني:
الحواضر العلمية الجزائرية التي خدم فقهاؤها المذهب المالكي

لقد عرف القطر الجزائري مجموعة لا بأس بها من الحواضر العلمية؛ كان لها علماؤها ومدارسها ومساجدها ومؤلفاتها؛ وأثَّرَت إيجابا في الحركة الفقهية والاجتهادية في المذهب المالكي وزادت من إثرائه؛ وسنذكر ثلاثة أمثلة منها على سبيل البيان لا الحصر.

المطلب الأول: حاضرة بجاية وإسهامات فقهائها في خدمة المذهب المالكي

تقع هذه المدينة التاريخية إلى الشمال الشرقي للقطر الجزائري؛ تداول على حكمها بنو حماد والموحدون وغيرهم؛ وسبق التطرق إلى أن مختصر ابن الحاجب

(1) انظر: المدرسة الفقهية الجزائرية: ص 54.

(2) نفح الطيب: 277/5، البستان: ص 218 ــ 219.

كان أول من أدخله بجاية وأشاعه بين طلبتها هو الفقيه ناصر الدين الزواوي؛ وكانت بجاية متأثرة بالمدرسة المالكية التونسية والمعروفة بمدرسة القيروان؛ لا تخرج عن أصولها إلا فيما ندر؛ وقد اعتمد فقهاء بجاية في البداية على منهج أهل الحجاز؛ المتمثل في الاعتماد على النقل تأسيا بطريقة أهل المغرب والأندلس، ثم قاموا بتطوير منهجهم بمزجه بالمنهج العراقي في تفريع المسائل وإعمال الرأي والقياس؛ وكان لدخول مختصر ابن الحاجب الفرعي دور بارز في المنهجية الفقهية عند فقهاء الحاضرة البجائية.[1]

كما أن الطريقة التي سار عليها فقهاء بجاية، قد أدخلوا فيها منهجا جديدا تمثل في استحداث مقياس الفتوى والعمل كآلية للاختيار والترجيح بين طريقة الحجازيين والعراقيين.[2]

ولقد راجت العلوم في حاضرت بجاية، وازدهرت سوقها، وقصدها الفقهاء والمحدثون والمفسرون والمتصوفة من كل مكان، خاصة من الأندلس بعد نكبتها؛ وللتدليل على صحة هذا الكلام؛ نطالع كتاب عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية لأبي العباس أحمد بن أحمد الغبريني (ت 704 هـ) الذي ترجم فيه لـ 150 عالما؛ يقول أبو علي المسيلي: "أدركت ببجاية ما ينيف عن تسعين مفتيا، ما منهم من يعرف أبا علي الحسن بن علي المسيلي من يكون".[3] ومن جلة فقهائها وعلمائها:

(1) انظر: مدرسة بجاية وإسهامها في خدمة المذهب المالكي، دة/ حفيظة بلميهوب: ص 100، ضمن فعاليات الملتقى الوطني الخامس للمذهب المالكي بعنوان "المدرسة المالكية الجزائرية"، وراجع كتاب الإمام أبو زيد عبد الرحمن الواغليسي آثاره وآراؤه الفقهية قسم الدراسة لنفس الباحثة.

(2) انظر: المرجع نفسه: ص 101.

(3) عنوان الدراية: ص90.

1. **أبو علي ناصر الدين منصور بن أحمد المشذالي الزواوي (ت731هـ)**: تعلم ببجاية، ورحل إلى المشرق، ولقي عز الدين بن عبد السلام وشرف الدين ابن السبكي وشمس الدين الأصبهاني؛ قال عنه التجيبي في رحلته: "يعلِّم الطلبة طرق البحث ومآخذ الخلاف، يورد عليهم الأسئلة، ويأمرهم بالجواب ويعرض دِولهم عن ظهر قلب، غاية الإنصاف في المذاكرة، وإذا اعترض طالب صاحبه في مسألة استفهمه عما قال، فإن فهمه تركه يعترض عليه، وإلا قال له: أنت لا تعلم ما قال، فكيف تعترض عليه".[1]

وله فتاوى ومناظرات فقهية، مبثوثة في كتاب المعيار المعرب للونشريسي.[2]

2. **أبو الروح عيسى بن مسعود المنكلاتي الزواوي المالكي(743ه)**: اشتغل بالتدريس بمصر ودمشق؛ ألَّف شرحا على صحيح مسلم، أسماه: إكمال إكمال المعلم في شرح صحيح مسلم[3] كما شرح مختصر ابن الحاجب في سبع مجلدات، واختصر جامع ابن يونس وشرح المدونة.[4]

3. **أبو زيد عبد الرحمن بن أحمد الوغليسي (ت786 هـ)**: أخذ ببجاية عن أبي العباس أحمد بن إدريس البجائي كبير علماء بجاية؛ كانت وفاته بعد (ت760 هـ)، وأخذ عن أحمد بن عيسى البجائي؛ من أبرز أعماله الفقهية التي اعتنى بها العلماء: المقدمة الوغليسية، التي اقتصر فيها صاحبها على أبواب الطهارة والصلاة والصيام.[5]

---

(1) كفاية المحتاج: ص 486، عنوان الدراية: ص 200.

(2) انظر: المعيار المعرب: 131/1، 331/5، 139/12.

(3) طبع منه الجزء السابع بالدار التوفيقية بالجزائر سنة 2011م.

(4) انظر: الديباج المذهب: 57/2، معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض:ص 128.

(5) انظر: نيل الابتهاج: ص 142، معجم أعلام الجزائر: ص83، الإمام أبو زيد عبد الرحمن الواغليسي آثاره وآراؤه الفقهية: ص 73 وما بعدها.

المطلب الثاني: حاضرة تلمسان وإسهامات فقهائها في خدمة المذهب المالكي

تقع حاضرة تلمسان إلى الشمال الغربي من القطر الجزائري فتحها أبو المهاجر دينار، ثم عقبة بن نافع الفهري، في العقد الأول من النصف الثاني للقرن الأول الهجري؛ لتكون مركزا أصيلا من مراكز الفكر في المغرب الإسلامي.

وقد حباها الله بنعم وفيرة، ليس أقلّها أن جعلها مقصدا للعلماء ومحجَّة لطلبة العلم، يؤمونها من كل فج بعيد؛ ليتزودوا من علمائها وفقهائها وصالحيها وزهادها؛ وقد ساعدها عوامل كثيرة لتتبوأ مصاف الحواضر العلمية العالمية، ابتداء من اعتدال مناخها وجمال طبيعتها وطيبة أهلها، عدا عن ازدهار الحضارة والعمران بها؛ خاصة أيام بني مرين وبني زيان، الذين كانوا يتنافسون في بناء المدارس والمساجد والقصور، واستدعاء كبار الفقهاء إليهم وصرف الجرايات على الطلبة؛ فعرفت تلمسان نهضة علمية وفكرية كبيرة؛ زد على ذلك توافد الأندلسيين عليها لما سقطت الأندلس وهُجِّرَ منها أهلها قصرا؛ فوجدوا من تلمسان وأحوازها كل ترحاب.

يقول عبد الرحمن بن خلدون:" ولم يزل عمران تلمسان يتزايد، وخطّتها تتسع والصروح بها بالآجرّ والقرميد تعلى وتشاد، إلى أن نزلها آل زيان واتخذوها دارا لملكهم، وكرسيّا لسلطانهم، فاختطوا بها القصور المؤنقة والمنازل الحافلة، واغترسوا الرياض والبساتين وأجروا خلالها المياه، فأصبحت أعظم أمصار المغرب. ورحل إليها الناس من القاصية ونفقت بها أسواق العلوم والصنائع، فنشأ بها العلماء واشتهر فيها الأعلام، وضاهت أمصار الدول الإسلامية والقواعد الخلافية."[1]

(1) ديوان العبر: 105/7.

وتطالعنا كتب التراجم والرجال بذكر أول فقيه مالكي دخل تلمسان؛ وهو الشيخ أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي الأسدي (ت442هـ)، وقد قدم إليها من طرابلس الغرب؛ وله شرح على الموطأ وشرح على صحيح البخاري.[1]

كما دخلت عائلة المرازقة إلى تلمسان في فترة محاصرة المرابطين لتلمسان ما بين 472هـ/475هـ، وقد قدم جدهم مرزوق العجيسي من القيروان؛ ومنه تناسلت عائلة علمية كبيرة لا يزال عقبهم في تلمسان إلى يومنا.[2]

كما ظهرت عائلة المقَّري العلمية في القرن السادس للهجرة؛ وفيهم الفقهاء والأصوليون والأدباء؛ وعائلة العقبانيين ثم الشريف ثم ابن هدية وغيرهم كثير.[3]

ومن أبرز فقهائها ومجتهديها:

1. **أبو عبد الله الشريف الحسني التلمساني(ت 771 هـ)**: محمد بن أحمد بن علي الإِدْرِيسي الحسني، أبو عبد الله العلويني المعروف بالشريف التلمساني، من أعلام المالكية، انتهت إليه إمامة المذهب بتلمسان، ورحل إلى فاس مع السلطان أبي عنان، ثم نكبه أبو عنان، واعتقله شهرا، ودعي إلى تلمسان، وكان قد استولى عليها أبو حمو (موسى بن يوسف) فذهب إليها، وزوجه "أبو حمو" ابنته، وبنى له مدرسة أقام يدرّس فيها إلى أن مات؛ من كتبه "مفتاح الوصول إلى بناء الفروع والأصول" في أصول الفقه، كتب عليه عبد الحميد ابن باديس شرحا مختصرا، حال تدريسه

(1) الديباج المذهب: 165/1، شجرة النور الزكية: ص110.

(2) راجع في هذه المسألة أطروحة الدكتوراه بعنوان "بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 7هـ حتى القرن 10هـ؛ د/ نصر الدين بن داود، قسم التاريخ، جامعة تلمسان.

(3) المرجع نفسه.

له، و"شرح جمل الخونجي" وكان لسان الدين ابن الخطيب كلما ألف كتابا بعثه إليه وعرضه عليه.[1]

2. أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني (ت 842هـ): محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن مرزوق الحفيد العجيسي التلمساني؛ فقيه وأصولي ونحوي ولغوي وبياني وعروضي؛ ولد سنة 766هـ، أخذ عن الشريف أبي عبد الله التلمساني وسعيد العقباني وأبي إسحاق المصمودي وابن عرفة وسراج الدين البلقيني والحافظ أبي الفضل العراقي ومجد الدين الفيروزآبادي، وعنه أخذ عبد الرحمن الثعالبي وقاضي الجماعة عمر القلشاني ومحمد بن العباس ونصر الزواوي ويحيى المازوني والحافظ التنسي والإمام ابن زكري.

له ثلاث شروح على البردة؛ الأكبر والأوسط والأصغر، والمفاتيح القرطاسية في شرح الشقراطيسية، والمفاتيح المرزوقية في استخراج رموز الخزرجية، ورجزان في مصطلح الحديث، واختصار ألفية العراقي في الحديث، واختصار الحاوي في الفتاوي لابن عبد النور، وشرح جمل الخونجي، وغيرها كثير.[2]

3. أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي التلمساني (ت914هـ): أخذ عن محمد بن العباس وقاسم العقباني وابن الجلاب وابن مرزوق الكفيف؛ وخرج إلى فاس؛ أخذ عنه ولده عبد الواحد وابن الغرديس التغلبي؛ له: المنهج الفائق؛ وإيضاح المسالك، المِعْيَارُ المُعْرِبُ والجَامِعُ المُغْرِبُ عن فتَاوَى إفريقِيَّةَ والأنْدَلُسِ والمَغْرِبِ.[3]

(1) البستان: ص164، الأعلام للزركلي: 327/5.

(2) انظر: نفح الطيب: 420/5، ونيل الابتهاج:504/1، والبستان: ص201.

(3) انظر: نيل الابتهاج: ص135، والبستان: ص59.

المطلب الثالث: حاضرة الصحراء الكبرى أو إقليم توات وجهود فقهائه في خدمة المذهب المالكي.

يشكل إقليم توات المجموعة الكبيرة لواحات الصحراء الجزائرية بالجنوب الغربي؛ تؤلف في مجموعها إقليم عبور ما بين سفوح الأطلس الجنوبي وبلاد السودان، يحدها شمالا العرق الغربي وهضبة تادمايت التي تلتف حول جوانبها هذه الواحات؛ ومن الجنوب هضبة مويدير، ويشكل وادي الساورة الطريق التجاري لإقليم توات؛ وهذا الإقليم ينقسم إلى ثلاثة مناطق هي: تنجورارين، وتوات وتيدكلت.(1)

ومن خصائص هذه المدرسة أنها تركز على حفظ المتون والشواهد المقيدة للقضايا الجزئية والشاذة، واعتماد نظام المجلس والوقفة، بحيث يدرس الطالب مع الطلاب السابقين واللاحقين؛ كما تركز على اعتماد الإجازة الفقهية التي تمنح للطالب بعد انتهاء تحصيله.

وتعد من الحواضر العلمية المستقرة والمعمِّرة إلى يومنا هذا؛ وصلاتها العلمية مع حواضر العلم كفاس وتلمسان وبجاية والجزائر وحتى خارج الجزائر خاصة إفريقيا (مالي وشنقيط وجنوب تونس وليبيا).

كما يغلب عليها طابع المؤلفات التدريسية في شتى الفنون، خاصة الفقهية منها، ثم التأليف في كتب النوازل الفقهية.(2)

ومن الأعلام الفقهاء في هذه المنطقة:

(1) انظر: إسهامات علماء توات في مجال النوازل الفقهية، أ/ زهير قزان: ص 172 ــ 173؛ ضمن فعاليات الملتقى الخامس للمذهب المالكي بعنوان "المدرسة المالكية الجزائرية".

(2) انظر: المدرسة المالكية في الجنوب الجزائري: د/ كشنيط عز الدين: ص 160 ــ 161، ضمن فعاليات الملتقى الخامس للمذهب المالكي بعنوان "المدرسة المالكية الجزائرية".

1. **الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت909 هـ).**
2. **الشيخ عبد الله العصنوني (ت 927 هـ).**
3. **الفقيه أحمد بن يوسف التيليلاني(ت1078 هـ).**
4. **الشيخ عبد الرحمن بن إبراهيم الجنتوري (ت 1160 هـ).**
5. **سيدي البكري بن عبد الكريم (ت1133 هـ).**[1]

ومن الإنتاج الفقهي لأهل هذه الحاضرة الفقهية:

1. النوازل للشيخ باي بن عمر الكنتي؛ جمعها تلميذه سيدي محمد بن بادي الكنتي؛ وهي في مجلدين ضخمين؛ ونسخها الخطية بخزائن تمنراست بالجنوب الجزائري.

2. نوازل الزجلاوي؛ للفقيه محمد بن أمحمد (فتحا) بن أحمد الزجلاوي التواتي (ت 1212 هـ)، اعتنت بقضايا الفقارات والسقي؛ قال عنه صاحب الدرة الفاخرة: "كان رحمه الله أحد المجتهدين في عصره، كان عالما بالفرائض، وعليه مدار الفتوى، انتهت إليه الرئاسة في الديار التواتية، شرح مختصر خليل وابن عاشر والرسالة، وله نظم غريب القرآن، ونظم مسائل الالتزام للحطاب".[2]

3. جواهر الإكليل في نظم مختصر خليل، للشيخ خليفة بن حسن القماري(ت 1207هـ).

4. تحلية القرطاس بالكلام على مسألة تضمين الخماس، للفقيه محمد بن أبَّ بن أحمد الزموري التواتي (ت 1160هـ).

---

(1) المدرسة المالكية بتوات، د/ محمد الدباغ: ص 210 وما بعدها.

(2) انظر: سلسة النوات في ذكر علماء وصالحي توات: 9/2؛ نقلا عن محاضرة الأستاذ زهير قزان، إسهامات علماء توات في مجال النوازل الفقهية: ص 194.

5. غنية المقتصد السائل فيما وقع في توات من القضايا والمسائل، للشيخ محمد بن عبد الرحمن البلبالي (ت 1244 هـ).[1]

المبحث الثالث:
جهود علماء الجزائر في خدمة المذهب المالكي
في مجال التدوين الفقهي

المطلب الأول: المؤلفات الفقهية الجزائرية المعتمدة في الفتوى

ممَّا هو مقرَّر عند العلماء أن الكتب والمصنفات الفقهية ليست في درجة واحدة من حيث الاعتماد في الفتوى والنقل المذهبي؛ لذلك نجد الفقهاء يعتنون بكتب الفتوى المعتمدة في المذهب؛ والمدرسة الجزائرية لها ثلاثة مصنفات على الأقل، اعتمدها المالكية المتأخرون سندا للفتوى والتخريج الفقهي؛ نحاول ترتيبها زمنيا:

1: المَنْزِعُ النَّبِيلُ في شرح مختصر خليل؛ لمحمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد العجيسي التلمساني (ت842هـ)؛ قال عنه النابغة الغلاوي الشنقيطي (ت1245هـ) في نظمه:

واعْتَمَدُوا مُخْتَصَرَ ابْنِ عَرَفَهْ كَذَا ابْنَ مَرْزُوقٍ وعَنْ مَنْ عَرَفَه
بشَرْحِهِ للشَّيْخِ مَا إنْ عَمَّمَه لكنَّه سَرْوَلَه وعَمَّمَهْ.[2]

وقد نوَّه به أبو عبد الله الحطاب(954 هـ)؛ وذكره في أكثر من 25 موضعا من كتابه مواهب الجليل في شرح خليل؛ وقال عنه: "وَشَرْحُ الْفَصْلَيْنِ الأَوَّلَيْنِ مِنْ كَلامِ الْعَلامَةِ الْمُحَقِّقِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْزُوقٍ

(1) انظر: إسهامات علماء توات في مجال النوازل الفقهية، أ/ زهير قزان: ص 196.

(2) بوطليحية، نظم في المعتمد من الكتب والفتوى على مذهب المالكية؛ للنابغة الغلاوي الشنقيطي: ص81 ـ 82.